إيمانُ المسيحِ أساسُ إيمانِنا

(غل ٢: ٢٠، ١٦؛ ٣: ٢٢)

الخوري جان عزام

يستعمل بولس الرسول، في معرض كلامه عن مواضيع إيمانيّة وفي عدد من رسائله، تعبيراً مميّزاً يفاجئ قارئ النص في اللغة اليونانيّة. وترجمة هذا التعبير الحرفيّة هي: «إيمان يسوع المسيح». وقد اعتاد مترجمو نصوص بولس الى اللغات الحديثة سكب هذا التعبير في لغاتهم المختلفة بما معناه: الإيمان بيسوع المسيح. وهذا ما لا يتعارض ايضاً مع قواعد الصرف والنحو الخاصّين باللّغة اليونانيّة.

ومع انّ الترجمات الكلاسيكيّة قد اعتادت اختيار هذه الترجمة الأخيرة إلاّ انّ بعض الشرّاح المعاصرين قد بدأوا يتساءلون عن دقّة هذه الترجمة وإن لم تكن تُفقِر نصّاً مليئاً بالمعاني اللاهوتيّة الكبرى حول شخص المسيح وإيمان الكنيسة المرتبط به.

فما هي إذاً المشكلة المطروحة وكيف السّبيل الى حلّها؟ هذا ما نحاول عرضه هنا في ثلاث مراحل:

- عرض الواقع
- مبرّرات الترجمة الأولى
- مبرّرات الترجمة الثانية

الإيمانُ بالمسيحِ يسوع أساسُ إيمانِ بولس وتعليمِه
(بولس يمسك بالسيف، رمزِ كلمة الله القاطعة والمُحيية.
لوحة من القرن الثالث عشر، مكتبة القدّيسة جنفياف، باريس)

ونختم الموضوع بخلاصة عملية لإظهار التمييز بين «الإيمان بالمسيح» و«إيمان المسيح» في الترجمات.

عرض الواقع

إنّ المواقع التي يردُ فيها التعبير المذكور عديدة ولكن اهمّها في غل ٢: ١٦ حيث يتكلّم بولس عن «pistis tou christou»، وفي غل ٢: ٢٠ حيث نجد ايضاً تعبير «pistis tou huiou tou theou»، وفي غل ٣: ٢٢ «ek pistéos iésou christou» (راجع ايضاً روم ٣: ٢٢ و ٢٦، الخ).

نحن هنا أمام صعوبتين: الأولى هي في المعنى الواجب اعطاؤه لكلمة «pistis»، والصعوبة الثانية هي في تفسير المضاف «إيمان» بمعنى الصفة للمضاف إليه، «المسيح»؛ او بالأحرى، تفسير المضاف «إيمان» بمعنى الانتماء الى المضاف إليه، «المسيح». والتفسيران، كما قلنا، ممكنان في اللّغة اليونانيّة.

بالمعنى الأول نعتبر انّ معنى كلمة pistis هو «إيمان»، وتصبح الترجمة: «إيمان يسوع المسيح»، أي وصف علاقة المسيح بالله بكونها علاقة إيمانيّة. امّا بالمعنى الثاني فتكون الترجمة: (أل) إيمان (بـ) المسيح، أي نوعيّة الإيمان الذي نتحدّث عنه. فهو ليس أي نوع من الإيمان بل تحديداً (أل) إيمان (بـ) المسيح. فما هو الحل؟[١]

الحلّ لا يأتي بالدرجة الأولى من قواعد الصرف و النحو اليونانيّة أي في الاختيار بين «إيمان المسيح» أو (أل) إيمان (بـ) المسيح»، بل في البحث عن المعنى الثاني المقصود لكلمة pistis .

مبرّرات الترجمة الأولى

لا وجود لأي تقليد مناسب لترجمة «إيمان المسيح». والقاعدة الأساسيّة لفهم حياة المسيح هي في اعتبار اتّحاده العميق مع الأقنوم الثاني ومن خلاله مع الجوهر الإلهي، وبالتالي فإن المسيح لم يكن يحتاج «للإيمان»، أي لقبول حقيقة إلهيّة لا يراها![٢]

بالرّغم من ذلك، فإننا نجد في العهد الجديد مرات عديدة يستعمل فيها النص الملهم تعبير «الإيمان بالمسيح» (قول ١:٤٤؛ ٢:٥؛ ١ طيط ٣: ١٣؛ غل ٣:٢٦؛ أع ٢٠: ٢١؛ ٢٤:٢٤؛ ٢٦: ١٨؛ الخ). ولو كانت إرادة الرسول بولس هي في الكلام عن «(أل) إيمان (بـ) المسيح» لكان استعمل التعبير pistis ty en christo أو pistis en christò أو غيره.

هذا ما تؤكّده أيضاً دراسة مهمة للكاتب P. D. DOGUIN[٣]. والمهم في هذه الدراسة هي تأكيدها على العلاقة الوطيدة بين إعلان الإنجيل كحدث يسوع المسيح الذي صُلب ومات وقام وأعطى الحياة، وبين حياة المسيح كلّها. فقمّة الإنجيل هي في حدث الموت والقيامة وإعطاء الروح المحيي، ولكن المسيح لم يكن ليصل الى هذه القمّة لو لم يعِش حياته كلّها في الاتّحاد الوثيق بالله والثقة الكاملة بأبوّته!

هذه الدراسة تظهر إذاً انّ المسيح لم يكن فقط في علاقة «إلهيّة» بين الإبن – الأقنوم الثاني – والآب، بل في علاقة بنويّة بين «الإنسان» يسوع والآب السماوي: علاقة تتميّز بالثقة الكاملة به، وهي التي دفعت المسيح الى افتدائنا والوصول الى الصليب وحبنا حتى الموت، لأنه كان متأكّداً بأن الآب لن يتركه ولن «يدع قدّوسه يرى الفساد».

امّا الوسيلة الأساسيّة التي تساعدنا للوصول الى إيمان المسيح هذا أي إلى ثقته المطلقة بالله، فهي بلا شكّ «النعمة» المجانية التي اعطاها الله للمؤمنين بالمسيح الذين يقبلون بالعيش على مثال إيمانه وثقته بالله بقوة الروح القدس .

نستنتج من كل ذلك انّ الذي يهب الخلاص ليس الإيمان بالمسيح إلاّ لأن المسيح قد عاش هذا «الإيمان» (الثقة) وبرّرَنا به وصالحنا مع الله من خلاله، ونال لنا نعمة التبرير كثمرة لإيمانه هو (أي ثقته)، فيصبح إيمانه أساساً لإيماننا ولكي نستقبل عمله فينا ونعيش على مثال إيمانه وثقته.

مبرّرات الترجمة الثانية

يؤكّد الأب Albert Vanhoye في دراسة غير مطبوعة عن الرسالة الى اهل غلاطية، بأن بولس الرسول لا يعبّر ابداً عن العلاقة بين يسوع والله بواسطة فعل pisteuein، أي «آمن». ويمزح الكاتب قائلاً: من الممكن كتابة مقالة مثيرة بعنوان: «يسوع لم يكن يؤمن بالله!».

١- راجع دراسات عديدة حول الموضوع وخاصة: J. GUILLET, *La foi de Jésus Christ*, Paris, 1980

٢- راجع: Thomas d'Aquin, *Somme de Théologie*, III, 7:3

٣- P. D. DOGUIN, *Théologie de la confiance en Dieu*

طبعاً المقصود، حسب الكاتب نفسه، انّ علاقة يسوع بالله كانت أقوى بكثير واشدّ حميميّة بكثير من فعل «الإيمان».

وهذا الأمر عينه يمكن تأكيده عن كل نصوص العهد الجديد حيث يُستعمل فعل pisteuein أكثر من ٢٤١ مرّة ولا يستعمل ابداً عن يسوع في علاقته بالله.

من جهة ثانية يؤكّد الأب Vanhoye رأيه هذا إذ يقوم بمقارنة لغوية للتعبير الذي نحن بصدده (pistis christou) مع تعبير مماثل (nomou erga) أي «أعمال الشريعة». ويشرح انه من المستحيل فهم العلاقة بين المضاف، «أعمال»، وبين المضاف إليه، «شريعة»، بمثابة اعمال تقوم بها الشريعة نفسها بل بمثابة اعمال «بحسب الشريعة»، ويطبّق هذا الأمر على pistis christou ويستنتج بأن المقصود هنا ايضاً الإيمان «بحسب المسيح» وليس «إيمان المسيح».

في مطلق الأحوال يلتقي الأب Vanhoye مع P. D. Doguin بالقول ان المقصود هنا بكلمة pistis ليس كلمة إيمان بل بالأحرى الثقة او الأمانة. ويعطي شواهد عديدة عن إمكانية استعمال ترجمة pistis بكلمة «ثقة» وتطبيقها على المسيح. ويعطي مثلاً عن ذلك في تعبير آخر هو pistis théou الذي نترجمه عادة بتعبير « الثقة بالله» (روم ٣:٣). والمعنى المقصود هو انّ الله هو مصدر الثقة وما يمكن الاتّكال عليه. ونستنتج من ذلك انّ المقصود هنا في تعبير pistis christou ليس إيمان المسيح ولا حتى ثقة المسيح بمعنى ثقته بالله، بل بكونه هو نفسه الـ pistos أي «موضوع الثقة (رج ٢ تس ٣:٣؛ عب ٣: ٢). فالعلاقة الوطيدة والمميزة التي تجمعه بالله (عب ٣: ٦) هي التي دفعت به إلى «يحبّ حتى الموت» لأجلنا (غل ٣: ٢٠) فهو موضوع ثقتنا وإيماننا.

ويستنتج الأب Vanhoye من كلّ ذلك بأنّه يمكننا القبول بترجمة pistis tou christou بتعبير «ثقة المسيح» او «أمانة المسيح»، ويمكننا القول بأن التبرير حصل لنا بفضل أمانة المسيح أي بفضل ثقتنا بعمله وأمانته الكاملة لإرادة الله التي دفعته لافتدائنا على الصليب ومحبتنا حتى الموت.

خلاصة

لا شكّ بأن ترجمة «الإيمان بالمسيح» التي درجت العادة على استعمالها حتى الآن غير كافية للتعبير عن الغنى اللاهوتي الكبير لفكر بولس. ولا شكّ بأنّ الترجمة «ثقة المسيح» او «أمانة المسيح» هي الأفضل من حيث الترجمة اللفظية واللاهوتية للنص. امّا ترجمة «إيمان المسيح» فهي ترجمة صحيحة في الشكل وفي المضمون بشرط ألاّ يُفهم «بالإيمان» انتقاص بعلاقة المسيح الحميمة جداً والمميّزة مع الآب والتي كانت بدون شكّ أقوى من «الإيمان» الذي يختبره المؤمن العادي، والذي يبني إيمانه على «الإيمان بالمسيح» وبموته وقيامته!

من هنا، اعتقد انه يجب التوقّف عن ترجمة النصوص المذكورة بتعبير «الإيمان بالمسيح»، ويجب استعمال إمّا «أمانة المسيح»، مع ضرورة وضع حاشية تفسّر المعنى اللاهوتي للكلمة، وإمّا «إيمان المسيح»، مع وضع حاشية تفسّر كلمة إيمان، بمعنى ثقة وأمانة.

طبعاً الموضوع اللاهوتي الذي يبقى مطروحا للبحث والتعميق هو التالي:

هل نشدّد في شرحنا لتعبير pistis (tou) christou على أمانة المسيح لله وثقته به التي دفعته الى الموت على الصليب لافتدائنا (وهذا ما يؤكّده اصحاب الرأي الأول)، أم نشدّد على انّ المقصود هو انّ المسيح نفسه قد اصبح مصدر الثقة عند المؤمنين بسبب أمانته اللامتناهية للآب ولعمله الخلاصيّ! أعتقد انّ الرأيين يتكاملان، ولكلّ منهما غناه الخاص الذي يفيد جداً في التبشير والتعليم.

ملاحظة: هذه الدراسة هي نموذج عن المنهجية التي اتّبعناها في الجهد الجماعي والكنسي الكبير الذي قمنا به معاً، الخوري مكرم قزاح والأب يوحنا الخوند والأب موسى الحجّ وأنا، في اللجنة الكتابية المتفرّعة عن لجنة الشؤون الليتورجية المارونية، وذلك لتحضير الترجمة الليتورجية للعهد الجديد. وأرجو ان يتسنى لنا نشر كل الدراسات التي قمنا بها على النص اليوناني في المستقبل القريب.